

□ مقالة/ الجزء الأول

بحث في الاصول الاربعمائة

□ ايزدي مباركه، كامران

مقدمة

الفريق الاول من المحدثين و فقهاء الامامية، بعد الائمة عليه السلام، هم أصحابهم وتابعوهم. ونقصد بالتابعين الذين عايشوا ائمة الهدي عليه السلام او كانوا معاصرين لهم، ولكنهم لم ينالوا شرف صحبتهم، فسمعو ااحاديثهم من السنة ثقةا آخرين وعملوا بها . وقد اتسم هذا الفريق بسمه القيادة واعتبروا من واضعي اسس فقه الامامية، اذ يمكن القول بان الدورة الكاملة والجامعة لفقه الامامية وحديثهم قد بنيت علي ما قام به هؤلاء من الجهد العلمي الحديث .
لقد كان من اهم الخدمات العلمية التي قدمها هؤلاء هو وضع «الاصول » ، وذلك لان معظم افراد هذا الفريق كانوا من اصحاب الائمة عليه السلام ، وكان كل واحد منهم المرجع الشيعي للناس في منطقة سكناه . فاذا ما صادفته مسالة جديدة شد رحاله بنفسه لمقابلة الامام عليه السلام او اصحابه الموثوق بهم . و كانوا يسجلون احاديث المعصومين عليه السلام في اوراقهم و مكتوباتهم .

لم تكن هذه المدونات الروائية تخضع لتبويب او ترتيب معين، فاذا واجه اصحابها سؤال او اسئلة عن امور فقهية او عما يتعلق بالائمة المعصومين من حيث اخلاقهم وآدابهم و تواريخ ولادتهم ووفياتهم و مناقبهم و فضائلهم وامثال ذلك، كانوا يسمعون اجابات اسئلتهم مباشرة من الائمة عليه السلام او من اصحابهم، ثم يدونونها في اوراقهم، فتالف من هذه الكتابات نحو ٤٠٠ مجموعة روائية اشتهرت فيما بعد باسم «الاصول الاربعمائة».

ان الذين يحصرون فترة تدوين الاصول بزمان الامام الصادق عليه السلام علي ايدي تلامذته، يقولون عن «الاصول الاربعمائة » : «لقد وصل نشاط الشيعة الثقافي الي اوجه علي عهد الامام الصادق عليه السلام، وذلك لان انتقال السلطة من الحكم العباسي اوجد فرصة من التراخي في الضغط السياسي علي الشيعة علي وجه العموم . في مثل تلك الفرصة المناسبة اقبل اهل العلم والمعرفة اقبالا شديدا علي مدرسة الامام الصادق عليه السلام حتي وصل عدد طلابه والرواة عنه ٤٠٠٠ شخص . وقد قام عدد كبير من هؤلاء بتدوين الروايات التي سمعوها منه حول مواضيع شتي، كالفقه، والتفسير، والعقائد و غيرها . وقد اطلق علي هذه الكتابات في تاريخ الشيعة اسم الاصول التي بلغت ٤٠٠ عددا»

« تعريف «الأصل»

يقول الشيخ آقا بزرگ طهراني [صاحب «الذريعة الي تصنيف الشيعة »] : «تعبير الأصل لا يصدق الا علي بعض الكتب الروائية، بمثلمان «الكتاب » اسم يطلق علي جميع كتب الحديث . كثيرا ما يلاحظ في عبارات علماء الرجال قولهم: الراوي الفلاني له كتاب «اصل » ، او ان له «اصلا» وكتابا وانه يقول في «الأصل » كذا وكذا، او انه صاحب كتاب واصل وامثال ذلك .

ان اطلاق «الأصل » علي الكتب الروائية من جانب العلماء ليس ظاهرة حديثة، بل سبق اطلاق اللفظة، استنادا الي معناها اللغوي، علي امثال هذه الكتب . اي اذا كانت جميع احاديث كتاب روائي قد سمعها المؤلف من الامام عليه السلام، يعتبر هذا الكتاب كتاب «اصل » من بين سائر كتب المؤلف نفسه، لانه لا يعتمد علي كتابات شخص آخر، ولهذا السبب يقال ان له كتاب «اصل » . اما اذا اقتبس كتاب كل احاديثه او بعضها من كتاب آخر، وان يكن «اصلا» ومؤلفه سمع تلك الاحاديث من الامام عليه السلام مباشرة وان الامام قد اجازه بروايتها وتدوينها، فان هذا الكتاب المقتبس لا يعتبر «اصلا» لان مؤلفه لم يسمع الاحاديث من الامام مباشرة، بل استنسخها من مدونة اخري، فهو «فرع » منها . وهذا يتفق مع قول المرحوم وحيد البهبهاني: «ان الأصل هو الكتاب الذي جمع فيه مصنفه الاحاديث التي سمعها من المعصوم او من راويه».

فبناء علي ذلك، «الأصل » من بين كتب الحديث هوالكتاب الذي يضم بين دفتيه ما سمعه مؤلفه من المعصوم او ممن سمعه من المعصوم، لا الكتاب الذي ياخذ من كتاب آخر، اذ في هذه الحالة لا يكون جديرا باطلاق اسم «الأصل » عليه، بل يكون فرعاً له . وكلام النعماني عن الأصل السليم – كما سيأتي – اشارة الي لزوم سماع الروايات في الأصل . وهكذا يكون اصل كل كتاب هو ما كتبه المؤلف فيه اولاً، و كل ما استنسخ منه يكون فرعاً له، ولذلك يطلق علي المكتوب الاولي اسم النسخة الأصلية، او الأصل.

في ذلك يقول صاحب «إتقان المقال » : «ان من الأقوال في «الأصل» هو انه كتاب حديث يضم كلام المعصوم فقط . وثمة قول آخر يقول: الأصل هو الكتاب الذي يحتوي علي الأحاديث المسموعة من المعصوم عليه السلام دون واسطة»، في أقوال علماء الرجال ترد عبارات مثل قولهم عن ابراهيم بن مسلم: «ان شيوخنا يعتبرونه من أصحاب الاصول » أو عن كتاب أحمد بن حسين يقولون: «يري بعض من اصحابنا انه من الاصول » . وبشان كتاب حريز قالوا: «جميع كتبه تعتبر من الاصول » وعن كتاب الحسين بن ابي العلاء قالوا: «له كتاب يعد من الاصول.» وامثال هذه الأقوال، وهي تدل علي ان الأصل عندهم هو كتاب حديث يعتمد عليه ويعمل به .

وليس ببعيد القول بان «الأصل » هو الكتاب الذي يتصف بكونه يعتمد عليه ويضم روايات مسموعة من المعصوم عليه السلام بدون واسطة، كما يتضح ذلك من كثير من التراجم: «له كتاب يعتمد عليه » او «لراوي الفلاني كتب عديدة، مثل الحسين بن سعيد وامثاله . يدهيها اننا لايمكن ان نقول ان كتاب كل شخص ثقة هو «أصل » وذلك لاننا لا نجد اكثر الرواة المعتمدين والموثوق بهم بين اصحاب «الأصول » ، حتي ان بعضهم، مثل زرارة، الذين لا يرقى الشك الي وثاقتهم وكونهم من اصحاب الاجماع، لا نجدهم بين اصحاب «الأصول » . يتبين من هذا القول ان ليس كل كتاب معتمد «اصلا» .

يقول أحد العلماء المعاصرين في تعريف «الأصل» مايلى: «الأصل هو الكتاب الذي يحوي الاخبار والآثار التي جمعت بقصد ضبطها وحفظها من التلف ومن النسيان، ولكي يرجع اليه الجامع او غيره عند الحاجة ».

السيد محسن الامين، بعد استعراض بعض التعاريف، يقول: «كل هذه التعاريف لا تعدو ان تكون مبنية علي الحدس والتخمين ».

□ مقال

احذروا الكتب المسمومة

□ الشيخ ليث عبد الحسين العتايي

« مقدمة

إن من أشد الأخطار على التاريخ والأجيال وعلى الحضارات هي الكتب المسمومة، فهذه الكتب لها آثارها المدمرة، ولقد تعددت تسمياتها ما بين تسميات شرعية أو فنية أو غير ذلك، ومن تلك التسميات: (كتب الضلال)، و(الكتب الصفراء)، و(الكتب الممنوعة)، و(الكتب المسمومة)، وغير ذلك من تسميات مشابهة.

إن الكتب المسمومة تسمية تشبيهية للسموم، أو لسم الأفاعي الذي تنفثه فتسبب الموت جراءه.

إن عدداً لا بأس به من المؤلفات تُعد من نوع (الكتب المسمومة)، وذلك لاحتوائها على أفكار مضللة أو شاذة أو ممنوعة أو محظورة، أو كانت تروج لذلك، أو كانت تشوه الحقائق فتقلب الحق باطلاً، أو تسرق الجهود لتحرد اصحابها منها، إن خطر الكتب المسمومة عام على كل البشر، لكنه يتأكد على فئات معينة منها:

١. الفئة قليلة التعليم، أو بسيطة التعليم، فهي ما ان تسمع طرْحاً أو تقرأ قولاً ما ستؤمن به

محمد الحسن العسكري عليه السلام الفواء ٤٠٠ كتاب تسمي الاصول، والهدف من ذلك هو ان يقولوا ان الراوي الفلاني له مؤلف في الاصول .

اذن، اذا اخذنا بنظر الاعتبار تقدم الشيخ المفيد علي الشيخ الطوسي والنجاشي، وانه في آخر كلامه يقول ان هدف علماء الامامية هو تبيان كون الراوي الفلاني كتب «أصلاً» ، فاننا نستنتج من ذلك ان هذا الاصطلاح كان متداولاً بين المحدثين وعلماء رجال الشيعة، علي الرغم من ان شيئاً عن هذا لم يصلنا منه . وبناء علي ذلك ليس من السهل اثبات ان مصطلح «الأصل » قد استعمله بصورة مستقلة هؤلاء العلماء الثلاثة، وان كان النقد موجهاً الي كل تعريف من تلك التعاريف . الا ان البحث في التعاريف الماضية، وما سيأتي فيما بعد، لا يقيي مجالاً للشك في ان «الأصل » عنوان مستقل يطلق فقط علي بعض كتب الحديث التي لها ميزة خاصة .

« الفرق بين «الأصل» و «الكتاب»

الشيخ عباده الله المامقاني، العالم الكبير بالرجال، يقول في هذا الباب: «ليس ثمة شك في اختلاف «الأصل» عن «الكتاب »، وذلك لاننا كثيراً ما نشاهد في كتابات علماء الرجال انهم يقولون بشأن احد الرواة: «كان له (أصل) وله كتاب » .

ينبغي ان نقرأ ما يقوله الشيخ الطوسي بشأن زكريا بن يحيي الواسطي: «له كتاب (الفضائل) وله (أصل) ايضاً ». فلوكان الكتاب والأصل شيئاً واحداً لما كان كلامه دقيقاً . كما اننا نقرأ له بعض العبارات يقول فيها: «للراوي الفلاني كتابان او عدد من الكتب »، ولكنه لا يقول أبداً أن الراوي الفلاني كان له أصلان او عدة اصول . بل يذكر اصلاً مفرداً لاي صاحب اصل، لا لتثنية ولا جمعا .

لعلنا نستطيع ان نعثر علي العلة في الراي القائل: بالنظر لان الاصول غالباً ما تكون عديمة الترتيب والتبويب، وان صاحب الأصل يجمع جميع الروايات التي سمعها من المعصوم عليه السلام او من احد اصحابه في كتاب واحد، فمن الطبيعي ان يكون صاحب مجموعة روائية واحدة تسمي «الأصل » . اما الكتاب الذي غالباً ما يكون جامعاً لروايات تخص موضوعاً خاصاً، يكون متعدداً بحسب تعدد ابوابه ورواياته المختلفة.

ويضيف صاحب الراي قائلاً: ثم ان كتب المحدثين الشيعة ومصنفاتهم اكثر من ٤٠٠ عدداً، فقد ذكر علماء الرجال لابن ابي عمير ٩٤ كتاباً، ولعلي بن مهزيار ٣٥ كتاباً، وللفضل بن شاذان ١٨٠ كتاباً، ولبوسن بن عبد الرحمن اكثر من ٣٠٠ كتاب، ولمحمد بن محمد بن ابراهيم اكثر من ٩٠ كتاباً، ومجموعه يوفق ٦٧٩ كتاباً لخمسة اشخاص فقط، فما بالك بمالساثر العلماء الآخرين . لذلك لايد من وضع عنوان خاص لبعض كتب الحديث واستثناء غيرها من هذه التسمية .

اما الفروق التي ذكرت للتمييز بين (الأصل) و (الكتاب) فهي:

١ . ينقل وحيد البهبهاني عن عالم لا يذكر اسمه قوله: «الأصل هو المجموعة التي تضم كلام المعصوم عليه السلام فقط، اما في الكتاب فبالإضافة الي كلام المعصوم عليه السلام قد يضم بين تلافيفه كلام المؤلف ايضاً ». ولتأييد هذا الكلام يستشهد القائل بقول للشيخ الطوسي في ذكر احوال زكريا بن يحيي الواسطي جاء فيه: «له كتاب (الفضائل) و له أصل ايضاً » يقول المرحوم وحيد البهبهاني ان الاستشهاد بكلام الشيخ بقصد تأييد هذا الراي يدعو للتامل، الا ان رايه قريب الي الواقع الي حد ما وله بعض التأثير في إثباته . ثم يشير الي ناقدتي الدعوي فيقول: ثمة اعتراض علي هذا الامر بالنظر الي ان الكتاب اعم من الأصل، ولكنه يعود ليقول ان هذا الاعتراض غير صحيح، لان القصد هو بيان الفرق بين الكتاب الذي ليس اصلاً ويقف مقابلاً له، والكتاب الذي هو اصل، كما ان حصر تسمية ال ٤٠٠ مجموعة لأصول يعود الي هذا الامر .

و الاعتراض الآخر الموجه الي هذا القول هو ان في كثير من الاصول نجد كلاماً للمؤلف ايضاً، ولكن في كثير من الكتب لا وجود لكلام المؤلف اضافة الي كلام المعصوم، مثل كتاب سليم بن قيس، فيرد علي ذلك قائلاً: «ان هذا الاعتراض، كما ترون، ليس سوي مجرد ادعاء، كما ان شذوده عن الواقع لا يخفي علي كل مطلع علي احوال الاصول . نعم اذا ادعي ان كلام الكاتب قد شوهد بين طيات بعض الاصول، فانه لا يكون احتمالاً بعيداً عن الواقع، ولا يتعارض مع الدعوي المذكورة »، ولكن ما الدليل علي ان كتاب سليم ابن قس ليس من كتب الاصول؟ من الملاحظ ان كثيراً من التراجم تدل علي ان جميع كتب الاصول لم تكن متعينة عند القدماء . يتبين من كلام الشيخ علي احمد بن محمد بن نوح، ان كتب الاصول كانت تمتاز بترتيب خاص.

٢ . يستخرج المرحوم المامقاني من ذيل كلام وحيد اختلافاً آخر، وهو انه يتضح من كلام الشيخ ان كتب الاصول، بحسب راي اصحابها، كانت ذات ترتيب خاص، الا انه يرد هذا قائلاً ان معظم الكتب هي هكذا، فاذا كان يقصد بالترتيب الخاص شيئاً غير ترتيب الكتاب، فالكلام اجمالي غامض.

٣ . ثمة فرق آخر بين الأصل والكتاب، وهو ان الكتاب ينتظم في ابواب و فصول، بينما الأصل مجموعة من الاخبار والروايات لا ينتظمها تبويب ولا ترتيب . الا ان هذا الراي مردود ايضاً، لان كثيراً من الاصول موبة .

٤ . بعد الاشارة الي النظريتين المذكورتين و بيان الاعتراضات عليهما واجوبتها، يقول وحيد البهبهاني: «انني اعتقد ان الأصل كتاب جمع فيه المؤلف الاحاديث التي يرويها عن المعصوم او عن رواته . اما الكتاب او المصنف، اذا ضم احاديث موثوق بها، فانها تكون غالباً مكتسبة من الاصول . وبقولنا «غالباً» نشير الي ان بعض الاحاديث ترفع الي المعصوم عن طريق العنعة، وان وجود امثال هذه الاحاديث في المجموعة الروائية يعني انها ليست اصلاً» .

٥ . روايات الاصول تكون مروية عن المعصوم عليه السلام وجهاً لوجه وبدون واسطة، وكتب غير الاصول تقتبس منها . وعليه فان هذه المصادر تعتبر اصولاً لان الكتب الاخرى تقتبس منها.

و الاعتراض علي هذا القول هو وجود كتب كثيرة لأصحاب الائمة عليه السلام مستقاة من السماع وبالمواجهة، و فيهمز من لم ياخذ عن الائمة عليه السلام بالواسطة، ومع

وستبادر لعمله وللترويج له.

٢.الفئة قليلة الوعي، فُرِط متعلم يحمل الشهادة العلمية، لكنه قليل الوعي، وهذه الفئة ستنتأثر

بالكتب والأفكار (المسمومة) وستروج لها.

٣.الفئة المتأثرة بالآخر والمنهجرة به، كمن يتأثر وينهر بالغرب، وبالحضارة الغربية، وبالنظريات الغربية، وهذه الفئة لا تقرأ إلا تلك الكتب، ولا تقلد إلا تلك الأفكار، وتروج إلا لذلك.

٤.الفئة قليلة الاطلاع وقليلة المعلومات، وبالخصوص في مجال أو تخصص معين، فما ان تسمع أفكاراً في مضمار ما ستبادر للتأثر بها ومن ثم تتبناها وتروج لها.

٥.الفئة المحبة للمخالفة، وهذه فئة بنسبة كبيرة مريضة نفسياً، فما ان تميل معها يميناً إلا ومالت يساراً، وما ان تميل يساراً حتى مالت يميناً، وهي من جماعة (خالف تُعرف)، فلا تؤمن إلا بالمخالفة، ولا تروج إلا لكل ما هو مخالف.

٦.أصحاب الشعور بالدونية، وهؤلاء يشعرون بالنقص تجاه أي طرح من خارج دينهم، أو من خارج بلدهم، أو من خارج لغتهم، وهؤلاء هم الناعقون مع كل ناعق غريب.

هذه هي الفئات التي ستنتأثر بالكتب المسمومة، وستروج لها، أما العلاج فإنه سيكون صعباً من جهتين، الجهة الأولى: عناد هذه الفئات، والجهة الثانية: كثرة اعداد هذه الفئات.

إن من الواجب على المؤسسات المختصة والمسيطرة وقاية المجتمع، وعلاج هذه الفئات، والعمل على بناء فئات أخرى مقابلة ومتقنة ثقافة صحيحة، حتى تأخذ على عاتقها بناء البلاد والعباد، ومواجهة المصاعب والتحديات.

المصدر: الموقع الشامل للحوزة العلمية

الأفـاق

• السنة الأولى
• العدد ٣٩
• الأثنين ٢٨ ذى‌الحجة ١٤٤٤ هـ
• ٨ صفحات

Ofogh-e Hawzah Weekly

- متعلق بمركز إدارة الحوزات العلمية
- المشرف: رضا رستمى
- مدير التحرير: على رضا مكتب دار بمساعدة الهيئة التحريرية
- هاتف: ٠٥٣٨-٣٢٩٠٠٩٨ ٢٥ فاكس: ٠٥٣٣-٣٢٩٠١٥٢٣ ٢٥ ٩٨
- ص. ب: ٣٢٨١/٣٧١٨٥
- العنوان: قم، شارع جمهورى، زقاق ٢، رقم ١٥
- الموقع: www.ofoghhawzah.ir
- البريد الإلكتروني: info@ofoghhawzah.ir
- تصميم: السيد امير سجادی مسئول الطبع:مصطفى اويسى
- طباعة: صميم ٣٣٧٢٥/٢١٤٤٥ ٢١ ٩٨ +

شعر وقصيدة

أهل المباهلة الكريمة والكساء

دعبل الخراسي



أهْلُ المُبَاهَلَةِ الكَرِيْمَةِ والكِسا

والبَيْتِ والأَسْتَارِ والخُرْمَاتِ

وَمُخَارِزِ العِلْمِ المُتَنَزِّلِ عِنْدَهُم

بِالْوَحْيِ والقُوَّامِ بِالتَّزَكَّاتِ

وَدُؤِ الكِتَابِ القَانِمُونَ بِأَمْرِهِ

وَالْحَافِظُونَ حَكَمَ الزُّبُورِ وَمَاتِي

فِي الصُّخْفِ والإِنْجِيلِ وَالتَّوْرَةِ

فَيَقُولُ قَائِلُهُمْ سَلُونِي قَبْلَ أَنْ

تُدْهُوا بِقِدْقَانِي وَحِينَ وفَاتِي

ذَاكَ الوَصِيَّ وَصِيَّ أَحْمَدَ

وَالَّذِي نَجَى الرِّسُولَ وَقَدَّمَ الصَّدَقَاتِ

ذَاكَ الوَلِيَّ الثَّالِثَ الْحَاضِي بِمَا

أَعْطَى زَكَاةً رَكَعًا بِضَلَاةٍ

ذلك فلم تعتبر كتبهم من الاصول.

٦ . الاختلاف السادس اشبه بالخامس . يقول العلامة الطباطبائي: «ان الأصل في اصطلاح المحدثين الامامية هوالكتاب الموثوق به والذي لم يؤخذ من كتاب آخر، كما انه يستعمل بمعنى الكتاب مطلقاً».

اما هل الأصل أهم من الكتاب، وهل جميع الاصول موثوق بها، وهل اهمية الأصل تعتبر اختلافا رئيساً معترفاً به، ام لا، فهي اسئلة سوف نجيب عنها في المستقبل .

٧ . صاحب «أعيان الشيعة » يري ميزة الأصل عن الكتاب في كثرة عدده او في شهرة صاحبه.

ان عدد الاصول يبلغ نحو٤٠٠ وهو اقل، قياساً إلي كتب الأصحاب. لذلك فان كثرة عدد الاصول لا تكون امتيازاً لها علي سائر المجموعات الروائية. كما لا يمكن قبول شهرة مؤلفي الاصول امتيازاً لها، و ذلك لان بعض كتب مؤلف ما يعتبر احياناً اصلاً واحياناً كتاباً . فالشيخ الطوسي، مثلاً، ينسب الي اسماعيل بن مهران بن محمد بن ابي النصر السكوني كتبا عديدة، ثم بعد بيان كيفية توصله الي كتبه، يقول: «وله اصل » ويعتمد عليه في إنساده.

يري احد العلماء المعاصرين البارزين ان جميع هذه الأقوال، وخاصة في تفسير «الأصل » ترجع الي امر واحد، ويخلص الي القول: «ان الأصل عبارة عن مجموعة من الأخبار والروايات جمعت حفظاً لها من الضياع والنسيان والتلف وما الي ذلك لكي يرجع اليها المؤلف او غيره عند الحاجة . ولما كان هذا هو الهدف من تدوينها، فان اغلب ما يدون في الأصل او في كتاب آخر، من اجل حفظه، لا ينقل في الأصل، ولا يكون لكلام المؤلف او غيره وجود فيه الا علي ادني حد . وهذه الميزة لا توجد في الكتاب».

إنهى الجزء الأول ويليهِ الجزء الثاني في العدد المقبل
المصدر: مجلة آفاق الحضارة الاسلامية، العدد ٤

